

أنا وأنت على الطريق

الأمومة مهمة شريفة وصعبة

الأمومة ... مهمة شريفة وصعبة...

كان هذا عنوان تقرير في شؤون المجتمع والأسرة. فتعالى يا سيدتي نستمع إلى ما قالت إحدى الصحفيات في هذا المجال.

حينما ندرك مكانة الأم في المجتمع البشري فإننا نكون أقرب إلى الحق الذي يعتبر الجنة تحت أقدامها وذلك لأنها مربية النشء الجديد، ومالكة زمام أمره. فهي الأساس في المجتمعات ولولاها لكانت البشرية عدم محض. فمسؤولية الأم هي أولاً في وحدة وارتباط الأسرة. إن العامل الأساسي في إيجاد عنصر الترابط الأسري هو الأم ، لأنها تسهم في تكوين الطفل النفسي والاجتماعي، والطفل خاصة في سنه الأولى، يكتسب معظم الأنماط السلوكية والطباع من أمه اللصيقة به دائماً، من خلال رعايته والقيام بسد حاجاته . بل إنه في الأصل جزء منها ثم انفصل عنها. وإضافة إلى ذلك العوامل الوراثية التي يكتسبها الطفل من الأم، وكثيراً ما يكون للأم فيها نصيب وافر، فضلاً عن أن الأم هي الرفيق الدائم للطفل طوال ساعات الليل والنهار وفي السفر والإقامة. إن الطفل يكتسب كل الأنماط السلوكية حتى اللغة من الأم أولاً. ثم تتسع عنده ينابيع المعرفة فتشمل الأب ثم البيئة بما فيها من أصدقاء وأهل . ثم التجارب الشخصية والدراسة والتعلم. فالمولود الجديد يُعتبر اجتماعياً بطبعه، ذلك لأن أمه اجتماعية تألف وتؤلف وتحسن التواصل مع الآخرين . أما الولد الانطوائي فلأن أمه انطوائية ، لا تخالط الناس. ونلاحظ هذا بمشاهدة الواقع. كما يجب أن لا نغفل دور الأب هنا، لكن دور الأم أعظم.

كذلك تسهم الأم بالنصيب الأوفر في تكوين التعاطف بين الإخوة والأخوات في المنزل ، والتعاون والتضحية والإيثار وكل الأخلاق الاجتماعية لدى الأبناء. فالولد صفحة بيضاء تكتب الأم عليها ما تشاء أن تكتب لاسيما أن طلب الأم مجاب على الفور من قبل الولد. خاصة في سنه الأولى . وأيضاً مسؤولية الأم كبرى في تنمية الأخلاق. إذا كان الطفل يكتسب كل شيء حتى اللغة من الوالدين وخاصة الأم فإن الأخلاق عند الطفل ما هي إلا انعكاس لأخلاق والديه . فالأم إن عودت طفلها على سماع الكلمة الطيبة وكرهت إليه الكلمة الخبيثة وغرست في نفسه الأخلاق الحميدة كالصدق والوفاء والإيثار وحب الآخرين ولم تمارس هي ولا الأب ما يناقض تلك الأخلاق ، فلا شك أن الطفل سوف يكون في مستوى أخلاقي لائق.

وتقول الصحفية زينب بأن ممارسة الوالدين للأخلاق بشكل ينسجم ولا يتعارض مع ما يعلمان الطفل حتى تكون استجابته سوية وإيجابية، وحتى لا يشعر الطفل بالتناقض والانفصام ، فالوالد الذي يقول لولده: إذا سألت أحد عني فقل له إنني غير موجود. ثم يأمره بعد ذلك بالصدق يشكل عائقاً نفسياً واضحاً في التربية. إذ كيف يمكن للطفل عندها أن ينسجم مع هذا الواقع المتناقض فطرياً؟

والأم مسؤوليتها أيضاً كبيرة في التغيير الاجتماعي... فالأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع، وهي نواته. فمنها يتكون المجتمع . ومن المجتمع تتكون الأمة. والزواج هو الأساس الذي تبنى عليه الأسرة . لذلك كان اختيار الزوجة واختيار الزوج من الأمور المهمة جداً قبل الإقدام على تكوين الأسرة خاصة الزوجة التي ستصبح أما وسيكون عليها من الواجبات ما لا تكون أهلاً له إلا من أوتيت نصيباً من العلم والحلم والعقل والأخلاق، لأنها ستورث كل ذلك للولد. من هنا كان لابد لعملية التغيير الاجتماعي أن تبدأ من النواة الأولى لإصلاح العناصر الوافدة إلى هذا المجتمع.

مسؤوليتك مهمة جداً يا سيدتي المرأة ويا سيدتي الأم. فهل أدركت عظمة هذا الدور الذي خصك به الله تعالى؟

فالأأم نفسها مدرسة لأنها تعد الأجيال القادمة. فهي المثال الذي يتبعه الأولاد في البيت فإذا ما كانت الأم قدوة صالحة ربحت أولادها لكي يكونوا هم أيضاً مثلها. أتعلمين يا سيدتي ماذا يقول الكتاب المقدس عن المرأة الأم وبماذا يصفها؟ أجل فكلمة الله المقدسة هي موحى بها بالروح القدس لرجال المؤمنين . فكتب النبي والملك سليمان هذه الكلمات الجميلة عن المرأة الأم فقال:

امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ . بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة . تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها. تطلب صوفاً وكتانا وتشتغل بيدين راضيتين. تنطق حقها بالقوة وتشد نراعها. تشعر أن تجارتها جيدة. سراجها لا ينطفئ في الليل. تمد يديها إلى المغزل ، تبسط كفيها للفقير وتمد يديها إلى المسكين. لا تخشى على بيتها من الثلج لأن كل أهل بيتها لابسون حلالاً. زوجها معروف في الأبواب حين يجلس بين مشايخ الأرض. تصنع قمصاناً وتبيعهما. العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتي. تفتح فمها بالحكمة وفي لسانها سنة المعروف. تراقب طرق أهل بيتها. ولا تأكل خبز الكسل. يقوم أولادها ويطوبونها. زوجها أيضاً فيمدحها. بنات كثيرات عملن فضلاً أما أنت ففقت عليهن جميعاً. الحسن غش والجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهي تمدح.

هل تستطيعين أن تري نفسك في هذه المرأة الأم الفاضلة؟ هل تهتمين ببيتك وأولادك وزوجك، وتراقبين طرقهم. ثم هل تفتحين فمك بالحكمة فتتكلمين كلاما مفيدا ولائقا في كل الوقت؟ ثم هل يقدرك أولادك وزوجك؟ ويهبون ليقولوا مع النبي والملك سليمان: بنات كثيرات عملن فضلا أما أنت ففقت عليهن جميعا. الحسن غش والجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهي تمدح.

هل تعرفين سيدتي أن التقى وخوف الله هو مصدر كل هذه الصفات التي تتحلى بها الأم المرأة الفاضلة؟ هل تدركين أن مخافة الله هي رأس كل حكمة يحصل عليها الإنسان؟ عندها تكونين بالحق أما زوجة فاضلة مربية للأجيال.
